

تمهيد:

تعتبر المناطق التاريخية والأثرية أحد مقومات التراث نظراً لقيمتها التاريخية والثقافية والحضارية التي لا يستهان بها وترتبط المجتمع في العصر الحديث بجذوره التاريخية وتمثل مراكز جذب سياحي وثقافي ذات ثقل كبير . كما أن وجود المناطق التاريخية والأثرية في المدن يعطي قيمة خاصة لهذه المدن ، ونظراً لأن المدن عناصر ديناميكية تنمو غالباً عمرانياً وسكانياً على مر العصور فقد تأثرت المناطق التاريخية بهذا النمو بشكل أو بآخر حيث أن غالبية المناطق التاريخية تعرضت لتعديلات مختلفة أدت إلى تدهور نسيجها الحضري الأمر الذي جعل الجهات المعنية في مختلف الدول اليوم تهتم بعمليات الحفاظ على هذه المناطق وإظهارها في كيانات عمرانية مستقلة . ولذا كان لا بد من العمل على تسجيل هذا التأثير على المدن التاريخية و الأثرية مع ملاحظة التأثيرات السلبية على استمرار بقائها ومحاولة إنقاذ هذه المناطق حتى تبقى محتفظة بصورتها الأولى مع مواكبة ظروف العصر الحديث في التطور الذي يتماشى مع هذه الصورة ولن يتأتى ذلك إلا بالتفاعل بين هذه المناطق وبين محيطها العمراني و المجتمعات التي تعيش في كنفها و هناك الكثير من الدول استطاعت أن تستجيب للتطور العصري دون أن يؤثر ذلك على مدنها التاريخية مثل مدن فاس بالمغرب و تلمسان ووادي ميزاب بالجزائر و قصبة تونس و مدن القاهرة و اليمن و قرطبة الاسبانية وغيرها.

ضبط المفاهيم العامة:**المفاهيم الأساسية للتراث**

التراث هو ذاكرة الأمة بكل ما فيها من أحداث تمت على مر التاريخ وتأثرت بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمكانية والعمرانية المكونة للمقومات الحضارية الإنسانية بما فيها من تغيرات. وهو شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية عميقة الجذور ويتناقل من جيل إلى جيل ويصمد عبر فترة زمنية متفاوتة نوعياً ومتميزة بيئياً تظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية ولكنه يحتفظ دائماً بوحدة أساسية متميزة.

تعريف التراث:

ويمكن تعريف التراث على عدة محاور كالآتي :

- 1/ **لغويًا :** يمكن تعريف التراث ما ورث فهو كل ما صار إلى الوارث أو الموروث عن الأسلاف من أشياء ذات قيمة وسمات أصيلة ، كما أنه مجموعة الآراء والأنماط والعادات الحضارية المتنقلة من جيل إلى جيل.
- 2/ **ثقافياً :** فهو كل ما ورث ذو قيمة ويصبح بصورة ما جزءاً مؤثراً على حياة الوارث الحالية ، أي رصيد مخزون

ثري يضم إضافات الأجيال المتعاقبة ويعنى أنه ممتد بلا نهاية واستمراره رهن الإضافات الواعية والمتميزة إليه (جيل بعد جيل) ، بمعنى أنه يمثل البعد اللامادي للحضارة ووحدة منهجه وملاحمه الإنسانية والفكرية عبر العصور وخلال أزمان طالت أو قصرت وتباينت ملامحها.

3/ زمنياً (تاريخياً): يعتبر التراث صورة الماضي وتاريخه الذي طوى الزمان صفحاته للحفظ بين صفحاته أصالة الشعوب وانتمائها للمكان ومعاصرتها للزمان. ومن هنا يتضح أهمية البعد المكاني والبعد الزمني في تعريف التراث، إلا أن العلاقة بين التراث والنمو الثقافي علاقة تبادلية، لأن كلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر وهدف كل منهم هو صنع حضارة الأمم كما أن الثقافة تتميز بالاستمرارية . والتراث يعنى كل مفهوم تاريخية الإنسان في تجارب ماضيه وفي تكوين حاضره وفي التمهيد لمستقبله ، وبالطبع لهذا المفهوم إسقاطاته المتشعبة في مختلف المفاهيم الحديثة خاصة في الإطار الاجتماعي.

4/ مادياً : التراث دليل ومرجع ووجود مادي قائم أو شاهد على خصوصية الثقافة ودعم حركتها واستمرارها ويمكن تعريف التراث كوجود مادي وموقف فكري كما يمكن تصنيفه إلى تراث فعال يكون خلفية لعمل فني وتراث مخزن منسي ، كما يمكن التعامل مع التراث على أنه وجود مادي أو موضوعي باعتباره شيئاً ملموساً حقيقياً.

5/ اقتصادياً : يمكن أن يطلق على مبنى أو منطقة بأنها ذات قيمة تراثية إذا حققت أو ساهمت في تحقيق عائد اقتصادي كبير للبيئة المحيطة سواء كان نقطة جذب تجارية أو سياحية أو حرفية أو أنشطة أخرى.

6/ التفرد : يطلق على المبنى أو المنطقة لفظ تراث حال تفردا بأحد المميزات التي لا تتحقق في زمنه أو ما قبله مثل (الشكل، المضمون ، النشاط ... الخ) .

معايير تصنيف التراث

يمكن وضع المعايير اللازمة لتصنيف التراث للمباني والمدن انطلاقاً من محاور تعريف التراث السابقة وقد ركز التصنيف على المعايير القيمة الموضحة التي تتدرج نحو الأهمية التاريخية والثقافية. وعليه فإن المعايير يمكن أن تصنف كالآتي :

1. **معايير القيمة المعمارية :** الطراز ، الطابع ، الشكل ، التكوين ، التجاور ، الوظيفة ، الهيئة الخصوصية ، طريقة الإنشاء ، التعبير... الخ .

2. **معيار القيمة العمرانية :** المكانية ، الانسجام ، الاستمرارية ، التجاور ، خط السماء ، التناقص ، القيم البصرية ، الانطباع الذهني ، النسيج العمراني ، الألوان ، الحركة .
 3. **معيار القيمة التخطيطية :** الارتباط بالقطاعات التخطيطية المتجانسة - الدور الاقتصادي - الدور الاجتماعي علاقة المركز بباقي العناصر المكونة للمنطقة التاريخية - شكل المنطقة ونظام الحركة - الخدمات ... الخ .
 4. **معيار القيمة الاجتماعية :** نمط الحياة - العادات والتقاليد - الارتباط بين فئات المجتمع - مستويات الدخول - التعليم - الوعي بمبادئ الحفاظ - القيم ... الخ .
 5. **معيار القيمة الاقتصادية :** دور المبنى أو المنطقة - في الحركة التجارية والسياحية - الإنتاج الحرفي والصناعات الخفيفة - عوامل الجذب - الأنشطة ... الخ .
 6. **معيار القيمة الزمنية :** زمن إنشاء المبنى أو المنطقة - التعبير طراز أو عصر - التتابع الزمني .
 7. **معيار التفرد :** وجود أو عدم وجود أحد المميزات الهامة بالمبنى التي تميزه من المشابه له في زمن وجوده أو في الماضي سواء من حيث الشكل - المضمون - الاستخدام - الموقع ... الخ .
- ويلاحظ أن المعايير السابقة قد وضعت على أساس أن المناطق والمباني التراثية هي إطار فكري يمثل قيمة معمارية وعمرانية وتخطيطية واقتصادية عالية ولها من المرونة ما يحقق متطلبات بيئة المكان والإنسان.
- كما يجب أن تتوفر في المباني التراثية واحد أو أكثر من المعايير التالية:
- المبنى يمثل عمل مميز رائع يدل على إبداعات وعبقرية (التفرد)
 - المبنى يظهر دلالات بارزة للتقاليد الثقافية للحضارة (مستمرة أو مندثرة)
 - المبنى يظهر قيم إنسانية متدرجة عبر فترات زمنية أو حضارية توضح تطورات معمارية أو تخطيط عمراني أو فنون أو تقنيات أو تصميمات مميزة.
 - ارتباط المبنى بطرق مباشرة أو غير مباشرة بالحوادث التاريخية أو الحياة التقليدية أو الأفكار السياسية أو القيم الثقافية لأحد الشعوب.
 - أن يكون المبنى بالإضافة إلى أحد المعايير السابقة مؤكداً الأصالة في التصميم والحرف اليدوية الأصيلة والتكامل مع البيئة الطبيعية المحيطة.

مستويات التراث

ويمكننا تحديد المستويات المختلفة للتراث إلى أربعة مستويات أساسية هي:

1/ التراث المحلي: هو ما تعتبره جماعة ما تراثاً لها وهو يختلف من جماعة لأخرى نتيجة للتباين في المجالات الفكرية

والمادية والاجتماعية والثقافية من جماعة لأخرى (تراث أهل القاهرة/ تراث أهل صنعاء/ تراث أهل تمنراست..الخ).

2/ التراث الإقليمي: هو ما تعتبره الجماعات المتشابهة في ظروفها المختلفة داخل الإقليم الواحد تراثاً لها مثل (تراث سكان الواحات / تراث سكان القبائل / تراث البدو الرحل...)

3/ التراث القومي أو الوطني: هو ما تعتبره سكان الأقاليم المختلفة داخل الوطن الواحد تراثاً نتيجة لاشتراكهم في بعض الخصائص في مجالات حياتهم الفكرية والمادية والاجتماعية (التراث الجزائري / التراث الفرنسي / التراث الصيني/ التراث العربي...).

4/ التراث الإنساني أو العالمي: هي تلك الأشياء التي يراها البشر الأحياء على اختلاف مشارهم وبلادهم ذات قيمة وأهمية ونفع وجدوى للجنس البشري سواء كانت موروثة أو جديدة وذلك رغم التباين والاختلاف الظاهر بينها

في المجالات الفكرية والمادية والاجتماعية فإنها تشترك في بعض جوانب هذه المجالات وذلك بحكم وحدة التركيب البيولوجي والنفسي للإنسان مثل الرسوم الجدارية بالطاسيلي ناجر.

جوهر التراث

هو رؤية الوارث لقيمة وجدوى ما ورثه وإدراكه لنفعه وفائدته ، أي أن التراث هو ما يراه الوارث ذا قيمة وجدوى وأهمية ولا يصير تراثاً إلا عندما يصبح جزءاً مؤثراً على حياته وبذلك يكون التراث صلة بين الوارث وبين أسلافه وبين من سيأتي بعدهم ، وهو بذلك ليس ما يراه الوارث ذا قيمة وأهمية في حياته مما خلفه السلف فقط بل أيضاً ما يبدعه الأحياء من أشياء جديدة يرونها جيدة وذات قيمة ونفع لهم ولمن يأتي بعدهم.

التراث المعماري والعمراني

1/ التراث المعماري :

التراث المعماري هو حصيلة وخبرة سنوات متواصلة من التقنية التي طورها ومارسها المعماريون والبناءون والحرفيون وهو بذلك جزء لا يتجزأ من الحضارة والثقافة الإنسانية التي تتطلع دائماً لكشف المجهول وإبداع الجديد وصيانة كل ما هو خالد وحقيقي وليس هناك مجال للتقدم والتطور دون إحياء جوهر التراث.

ويتكون التراث المعماري من مجموعة من المكونات وفيما يلي توضيح لهذه المكونات:

-/ الأثر :

يختلف مدلول كلمة أثري من موضع إلى آخر ومن بلد إلى آخر نظراً لاختلاف عمر الحضارة في كل بلد أو موقع، فما يعتبر أثر في بلد كأمریکا مثلاً يعتبر قدس في بلد مثل مصر، فعمر الحضارة في أمريكا لا يتعدى 200 سنة أما في مصر مثلاً فقد تجاوز 7 آلاف عاماً . وعلى هذا فإن الأثر هو كل عمل خلفته الحضارات أو تركته الأجيال السابقة مما يكشف عنه أو يعثر عليه بمجالات الفنون أو الآداب أو الأخلاق أو العقائد أو الحياة اليومية أو الأحداث العامة وغيرها ، ويرجع تاريخه إلى مائه سنة مضت متى كانت له قيمة فنية تاريخية . و يعرف الأثر حسب قوانين كل دولة و لكن مدلوله واحد بين مختلف الأنظمة.

وقد عرف الأثر بقانون الآثار المصري (قانون 17 لسنة 1983 م) بأنه:

"هو كل عقار أو منقول أنتجته الحضارات المختلفة أو أحدثته الفنون والعلوم والآداب والأديان من عصر ما قبل التاريخ وخلال العصور التاريخية المتعاقبة حتى ما قبل مائه عام متى كانت له قيمة أو أهمية أثرية تاريخية باعتباره مظهراً من مظاهر الحضارات المختلفة التي قامت على أرض مصر أو كانت لها صلة تاريخية بها وكذلك رفات السلالات البشرية والكائنات المعاصرة لها".

وتنقسم الآثار إلى نوعان : آثار ثابتة وهي المباني والمنشآت وما تحتويه من عناصر معمارية وعمرانية ، و آثار منقولة وهي القطع الأثرية كالتماثيل واللوحات والقطع الفنية...

-/ المبنى القديم :

أصل كلمة قديم لغوياً (قدم) وقدم الشيء أي مضى على وجوده زمن طويل والجمع قدماء أو قدامى والمبنى القديم هو المبنى الذي مضى ع لى وجوده زمن طويل دون النظر إلى أن له قيمة تاريخية أو معمارية أو فنية أو عمرانية أم لا.

-/ المبنى الأثري :

هو نتاج واختيار وتفضيل العصور التي أوجدتها من بين ما أتيح لها من حلول جاءت من داخل وخارج البلد وما أوجدته تلك العصور من الحلول والإمكانات التي تطلبتها وأتاحتها ظروفها وأذواقها مع توافر العمق التاريخي والتقدير لها (أي أنه كل مبنى قديم وذو قيمة وأهمية ولكنه ليس به استمرارية حضارية).

-/ المبنى التاريخي :

هو المبنى الذي يعطي الإحساس بالروعة ويجعلنا نرغب في معرفة الثقافة التي خلقت إبداعه لما يظهر به من القيم الجمالية والتاريخية والسياسية بالإضافة للقيم الرمزية وأهم عناصره هي الشخصية الثقافية لاستمرار جزء من التراث وأي مبنى عاش أكثر من 100 عام يرقى لمستوى المبنى التاريخي—.

2/ التراث العمراني

التراث العمراني هو الاستمرارية التاريخية للعمارة لتجارب السلف الناجحة وما زالت ذات قيمة وهي نتاج اختبار وتفضيل العصور المختلفة وهو يمثل حلول وإمكانات تطلبتها ظروف وأذواق الأجيال السابقة.

-/ المنطقة الأثرية :

هي المنطقة التي يوجد بها آثار ولا تعتبر هذه المنطقة منطقة تاريخية إلا في حالة استمرار وجود نشاط اجتماعي بها
(مثال ذلك منطقة الأهرام بالجيزة).

-/ المنطقة التاريخية (الأحياء التاريخية) :

هي المنطقة التي تحتوي على مباني تاريخية ولها إطار عمراني وتاريخي مميز ، حيث عرفها العالم "كيفين لنش" بأنها هي الموضع الذي يعبر عن ذاكرة المكان بالإضافة إلى أنها الثقافة المستمرة وخاصة العناصر المحتفظ بها والحفاظ عليها في البيئة العمرانية وتحتوي على الجانب الجمالي والتعليمي والسياسي وهي تعني قوة الاحتفاظ الدائم بالعظمة السابقة والعقلانية المتوازنة مع التضاد بالخلق المعماري الجديد. أو كما عرفها د. حازم إبراهيم بأنها تلك المنطقة التي تحتوي على أكبر حشد من المباني التاريخية التي ترجع إلى العصور المختلفة وذات ثروات ليست فقط ملك للبلد الذي هي فيه ولكنها ملك للبشرية. وعلى هذا تكون المنطقة التاريخية عبارة عن مباني تاريخية وإطار عمراني تاريخي مميز.

ويجب أن تتوافر ثلاثة شروط للمنطقة حتى تكون منطقة تاريخية هي :

-بيئة حضرية مميزة أو أصيلة.

-مميزات معمارية خاصة (مباني أثرية لها قابلية الاستمرار أو التأثير حضارياً) مثال الجامع الأزهر.

-استمرارية الحياة والأنشطة الاجتماعية بالمنطقة ،وهذا يعنى أن المنطقة التاريخية ليست بالضرورة قديمة جداً، فكلمة تاريخي تنطبق على التكوين الشامل للمنطقة وليس معناه الفترة الزمنية لإنشاء هذه المنطقة . ومن هذا المنطلق تعتبر منطقة الجمالية بهذا المفهوم منطقة تاريخية لاستمرارية وجود حياة اجتماعية بها أي أنه يجب أن تتوافر الاستمرارية الحضارية بالمنطقة لتوصف بالتاريخية.

ويمكن تصنيف المناطق التاريخية إلى:

- المعالم التاريخية وهي مجموعة مستقلة من المباني التاريخية مثل بعض القصور والبيوت والمساجد التاريخية ولكنها توجد مستقلة وليست مركزاً حضارياً أو ريفياً.
- مراكز تاريخية ريفية.
- مدن مراكز حضارية صغيرة نسبياً (20 إلى 100 ألف نسمة)
- قطاعات تاريخية من المدن الكبيرة وتوجد عادةً في مراكز المدن الكبيرة (مثل باريس القديمة) أو على مجرى مائي يقطع المدينة (القاهرة القديمة) أو بالقرب من مجموعة أثرية أو موقع أثري هام في نطاق المدينة أو في مركز أحد القطاعات الحضرية الحديثة__.
- أقاليم تاريخية.

/- المدن التاريخية :

وهي التي تتكون من مجموعة من الأنسجة والبؤر التاريخية التي تسجل فترات محددة من مراحل المدينة (قد تكون هذه البؤر سوق ، بوابة مميزة ، مبنى تاريخي)وهذه البؤر تتغير وتتحرك بناءً على التغيرات في المدينة وتأخذ قيمتها أو عدم قيمتها بناءً على تدهور النسيج العمراني.